حديث الضرير في التوسل عند أهل السنة والجماعة - دراسة عقدية -

هند بنت دخيل الله بن وصل القثامي
أستاذ مساعد
جامعة أم القرى
قسم العقيدة
كلية الدعوة وأصول الدين

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام علـه نبينا محمد وعلـه آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ،،،، أما بعد:

فهذه دراسة بعنوان : " حديث الضرير في التوسل عند أهل السنة والجماعة – دراسة عقدية" –

وهي دراسة تبحث في الشبهة التي تعلق بها القائلون بجواز التوسل بالنبي صلـه الله عليه وسلم بعد موته ، ومضمونها كما فهمه هؤلاء : توسل الضرير بالنبي صلـه الله عليه وسلم وعودة بصره إليه.

وتبين الدراسة موقف أهل السنة والجماعة من هذا الحديث ؛ فتثبت أن المقصود من توسل الضرير إنما هو توسل بدعاء النبي صلـه الله عليه وسلم ؛ لا التوسل بذاته ، وأن هذا ما فهمه الصحابة رضوان الله عليهم.

بين البحث أيضا أسانيد الحديث ، والحكم عليها ، والزيادات الواردة عليه ، ومناقشة العلماء لها ،

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ المبعوث رحمة للعالمين، أما بـعـد:

فإن عبادة الله – تعالىٰ – وحده لا شريك له، هي المهمة التي خلق الله تعالىٰ الخلق من أجلها، "**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ**" [الذاريات: ٥٦]، وكلمة التوحيد هي الكلمة التي جاء لتحقيقها رسل الله تعالىٰ جميعاً، فكانت دعواهم: "**وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ** "[الأعراف: ٦٥]، ولا يقبل تعالىٰ من العبادة إلا ما كان موافقاً لشرعه، خالصاً له، يقول تعالىٰ: "**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** " [الكهف: ١١٠]، فإن صُرف العمل لغير الله تعالىٰ كان شركاً أكبر، كمن يسجد لغير الله، أو يطلب من الأموات قضاء الحاجات، وغير ذلك.

وإن كان العمل يُراد به التقرب إلىٰ الله تعالىٰ، لكن لم يكن علىٰ وفق ما أمر الله به، أو رسوله صلىٰ الله عليه وسلم فهو حينئذ بدعة، وكل بدعة ضلالة، ومن ذلك ما يراه البعض من جواز التوسل والدعاء بجاه النبي صلىٰ الله عليه وسلم، مستدلين علىٰ ذلك بأحاديث بعضها لا يثبت، وما ثبت منها لا يدل علىٰ مطلوبهم ومن ذلك: حديث الضرير في التوسل، وهو الحديث الذي رواه أهل السنن، وأحمد في المسند، عن عثمان بن حُنيف رضي الله عنه.

وفي هذا البحث – ستقوم الباحثة – بعرض روايات الحديث وطرقها، والحكم عليها من خلال أقوال العلماء، ثم بيان زيادات الحديث، وبيان المقصود من الحديث كما فهمه السلف الصالح ﷺ ومن سار علئ طريقهم، في ضوء المنهج الصحيح، وقد عُنوِن البحث بـ (حديث الضرير في التوسل عند أهل السنة والجماعة – دراسة عقدية-).

ويتكون من : مقدمة، ومبحثين وخاتمة ، كما يلي:

المبحث الأول: التوسل وأقسامه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف التوسل.

المطلب الثاني: أقسام التوسل.

المبحث الثاني: حديث الضرير في التوسل عند أهل السنة والجماعة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: روايات وأسانيد وزيادات حديث الضرير.

المطلب الثاني: دلالة حديث الضرير عند أهل السنة والجماعة.

منهج البحث:

١. السير وفق خطوات المنهج الاستردادي (النقلي أو التاريخي)، وذلك بالاعتماد علئ المصادر الأصلية ذات العلاقة (القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة).
٢. عزو الآيات القرآنية إلئ سورها وذكر رقم الآية.
٣. تخريج الأحاديث من مظانها، وما كان في الصحيحين فتكتفي الباحثة بذلك.

٤. عزو الأقوال إلشد مصادرها.

٥. التعريف ببعض المصطلحات اللغوية.

٦. الترجمة للأعلام الوردة أسماؤهم في البحث، عدا الصحابة لشهرتهم.

هذا؛ وأسأل الله تعالشد أن يجعله عملاً خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به، وما كان من تقصير فمني، ولا يخلو عمل من خطأ، وحسبي أني اجتهدت، وما كان من صواب فلله الحمد عليه أولاً وآخراً.

والحمد لله رب العالمين، وصلشد الله علشد سيدنا محمد وعلشد آله وصحبه.

المبحث الأول
التـوسـل و أقـسـامـه

المطلب الأول: تعريـف التوسـل

في اللغة:

الوسيلة والواسلة: المنزلة عند الملك، والدرجة والقربة، وَوَسَّل إلشد الله تعالشد توسيلاً، عمل عملاً تقرب به إلشد الله، كتوسل. والواسل: الواجب، والراغب إلشد الله تعالشد[١].

وجاء لفظ الوسيلة في القرآن الكريم في موضعين:

في قوله تعالشد: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥].

وفي قوله تعالشد: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧].

فقوله تعالشد (وابتغوا إليه الوسيلة): اطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه[٢].

ويقول ابن الجوزي[٣] عند تفسيره لقوله تعالشد: (وابتغوا إليه الوسيلة) في الوسيلة قولان:

---

(١) انظر: القاموس المحيط، للفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة (١٣٧٩/١).

(٢) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري تحقيق: محمد أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولشد ١٤٢٠هـ (٢٩١/١٠).

(٣) أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، جمال الدين، الشيخ العلامة، الإمام، الحافظ، المفسر، ولد عام ٥٠٨هـ، من تصانيفه المهمة: زاد المسير في التفسير، الموضوعات، الضعفاء، وغيرها توفي عام ٥٩٧هـ، ينظر عنه: البداية والنهاية لابن كثير (٥٩٧/١٣) ؛ وفيات الأعيان لابن خلكان (٣٢١/٢).

أحدهما: أنها القربة، قاله ابن عباس، وعطاء، ومجاهد، والفراء.

والثاني: المحبة، يقول: تحببوا إلى الله"[١].

أما الآية الثانية وهي قوله تعالى: (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة...)... فمعناها: "يتنافسون في القرب من ربهم ويبذلون ما يقدرون عليه من الأعمال الصالحة المقربة إلى الله تعالى وإلى رحمته"[٢].

ويبين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[٣] المراد من لفظ الوسيلة فيقول: "الوسيلة التي أمر الله الخلق بابتغائها هو التوسل إليه باتباع ما جاء به الرسول"[٤].

والتحقيق في معنى الوسيلة هو ما ذهب إليه عامة العلماء من أنها: التقرب إلى الله تعالى بالإخلاص له في العبادة على وفق ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وتفسير ابن عباس داخل في هذا؛ لأن دعاء الله والابتهال إليه في طلب الحوائج من أعظم أنواع عبادته التي هي الوسيلة إلى نيل رضاه ورحمته(٥).

---

(١) زاد المسير في علم التفسير؛ لابن الجوزي، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م (٣٤٧/٢).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن سعدي، تحقيق: الشيخ ابن عثيمين، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٢١هـ (٤٦١/١).

(٣) أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، تقي الدين، ولد بحران ٦٦١هـ، لقب بشيخ الإسلام، علم من الأعلام المشهورين، له المصنفات المشهورة مثل: بيان تلبيس الجهمية، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، درء تعارض العقل والنقل، وغيرها، توفي رحمه الله عام ٧٢٨هـ. ينظر عنه: البداية والنهاية لابن كثير (١٣٦/١٤)، الدرر الكامنة لابن حجر (١٤٤/١).

(٤) كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: ابن قاسم العاصمي، دار مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية (٢٠٠/١).

(٥) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م (١٦٣/٣).

التوسل شرعاً:

هو التقرب إلى الله تعالى بطاعته، وعبادته، واتباع أنبيائه ورسله، وبكل عمل يحبه الله ويرضاه[١].

فيطلق على ما يتقرب به إلى الله تعالى من فعل الطاعات، وترك المنهيات، ويطلق على التقرب إلى الله بطلب الدعاء من الغير، وعلى الدعاء المتقرب به إلى الله تعالى باسم من أسمائه، أو صفة من صفاته.

ولفظ التوسل من الألفاظ التي تحوي الاشتراك والإجمال، وذلك بحسب الاصطلاح، فمعناه في لغة الصحابة والتابعين: طلب الدعاء من النبي أو الصالح أو التوجه بدعائه.

وأما معناه في لغة المعاندين فهو أن يسأل الله عز وجل بذات ذلك المخلوق، ويقسم عليه تعالى به، أو يسأل ذلك المخلوق نفسه على معنى أنه وسيلة من وسائل الله يتقرب بذاته ويسأل منه شفاعته[٢].

يقول الألوسي[٣]– رحمه الله -: "إن لفظ التوسل صار مشتركاً على ما يقرب إلى الله من الأعمال الصالحة التي يحبها الرب ويرضاها ويطلق على

---

(١) التوصل إلى حقيقة التوسل، أبو غزوان محمد نسيب الرفاعي، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص٢٠.

(٢) انظر: التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب بطريقة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، محمد علي بن غريب وآخرون، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ، ص٣١٠.

(٣) محمود شكري بن عبدالله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي، أبو المعالي نشأ في بيت علم ودين، فجده هو أبو الثناء محمود صاحب كتاب: روح المعاني، ولد عام ١٢٧٣هـ في بغداد، له من المصنفات: فتح المنان، شرح مسائل الجاهلية، وغيرها توفي عام ١٣٤٢هـ انظر عنه: لب الألباب للسهروردي (٣١٨/٢)، أعلام العراق للأثري، ص٨٥، ٣٤١.

التوسل بذوات الصالحين ودعائهم واستغفارهم، ويطلق في عُرف عبَّاد القبور علىٰ التوجه إلىٰ الصالحين ودعائهم مع الله في الحاجات والملمات"[١].

المطلب الثاني : أقسام التوسل

أقسام التوسل: للتوسل قسمان:

الأول: التوسل المشروع: وهو ما كان بوسيلة جاءت بها الشريعة، وهو أنواع:

النوع الأول: التوسل إلىٰ الله تعالىٰ بأسمائه، ويدل عليه ما ثبت في حديث دعاء الهم والغم: (اللهم إني عبدك ابن عبدك ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيّ حكمك، عدلٌ فيّ قضاؤك، أسألك اللهم بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همي وغمي)[٢].

النوع الثاني: التوسل إلىٰ الله تعالىٰ بصفاته، يدل عليه: (أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر) [٣].

النوع الثالث: التوسل إلىٰ الله تعالىٰ بأفعاله، يدل عليه: (اللهم صل علىٰ

---

(1) فتح المنان تتمة منهاج التأسيس، محمود شكري الألوسي، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٦٦هـ، ص٤٠٠.

(٢) مسند الإمام أحمد، طبعة مؤسسة الرسالة (٦/٢٤٦). قال الألباني في السلسلة الصحيحة (١/٣٧٧): رواه أحمد والحارث بن أبي سلمة في مسنده (٢٥)، وأبو يعلىٰ (١/١٥٦)، والطبراني في الكبير (٣/٧٤/١)، وابن حبان في صحيحه (٢٣٧٢)، والحاكم (١/٥٠٩)، وقال الحاكم صحيح علىٰ شرط مسلم، إن سلم من إرسال عبدالرحمن بن عبدالله عن أبيه، فإنه مختلف في سماعه من أبيه.

(٣) صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي رقم (٢٢٠) (٤/١٧٢٨).

محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى إبراهيم)[١].

النوع الرابع: التوسل إلى الله بالإيمان به، ودليله قوله تعالى: ﴿ ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن ءامنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

النوع الخامس: التوسل إلى الله تعالى بحال الداعي، ودليله قوله تعالى عن موسى ﷺ لما سقى للمرأتين: :(رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير) [القصص: ٢٤].

النوع السادس: التوسل إلى الله تعالى بدعاء الرجل الصالح الذي ترجى إجابة دعائه، ودليله أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب الناس يوم الجمعة فدخل رجل فاستقبل النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: "يا رسول الله هلكت الأموال، وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا، فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال: (اللهم أغثنا، اللهم أغثنا) قال أنس بن مالك: والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار، قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت، فلا والله ما رأينا الشمس ستاً... الحديث"[٢].

النوع السابع: التوسل إلى الله تعالى بالعمل الصالح، ودليله الحديث المروي عن الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة في الغار فعجزوا عنها فتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم فانفرجت عنهم الصخرة.

القسم الثاني: التوسل الممنوع: وهو ما كان بوسيلة لم تثبت في الشرع،

---

(1) صحيح مسلم رقم (٤٠٥) (٣٠٥/١).

(٢) صحيح البخاري، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، رقم (٩٦٨)، (٣٤٤/١).

وهو نوعان:

النوع الأول: التوسل البدعي، وهو الذي يكون بوسيلة سكت عنها الشرع.

النوع الثاني: التوسل الشركي، وهو توسل المشركين بأصنامهم وأوثانهم، وتوسل الجاهلية بأوليائهم[١].

والتوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم على أقسام ثلاثة هي:

١. أن يتوسل بالإيمان به، واتِّباعه، وهذا جائز في حياته وبعد مماته.
٢. أن يتوسل بدعائه: أي يطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يدعو له، فهذا جائز في حياته لا بعد مماته؛ لأنه بعد مماته متعذر.
٣. أن يتوسل بجاهه ومنزلته عند الله، فهذا لا يجوز لا في حياته ولا بعد مماته؛ لأنه ليس من عمله[٢].

---

(١) انظر: التوسل حكمه وأقسامه، محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، دار خزيمة، ص١٣.

(٢) انظر: مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين، جمع: فهد السليمان، دار الثريا، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ، (٣٤٣/٢).

المبحث الثاني
حديث الضرير في التوسل عند أهل السنة والجماعة

المطلب الأول: روايات وأسانيد وزيادات حديث الضرير

أولاً: روايات وأسانيد حديث الضرير:

رواه الترمذي فقال: حدثنا محمود بن غيلان حدثنا عثمان بن عمر حدثنا شعبة عن أبي جعفر عن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (ادع الله أن يعافيني، قال: إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت؛ فهو خير لك، قال: فادعه، قال: فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه؛ ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي، اللهم فشفعه في).

هذا حديث رواه أبو جعفر الخطمي، واختلف عنه:

فالوجه الأول:

أخرجه الترمذي في جامعه[1]. والنسائي في عمل اليوم والليلة[2].وابن

---

(١) انظر: جامع الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي رقم (٣٥٧٨)، (٥/٥٦٩).

(٢)انظر: عمل اليوم والليلة، للنسائي، تحقيق: فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ رقم (٦٥٨)، ص٤١٧.

ماجه في سننه[١]. وأحمد في المسند[٢]، ومن طريقه المزي في تهذيب الكمال[٣]. وابن خزيمة في صحيحه[٤]. والحاكم في المستدرك[٥].

وكذا عبد بن حميد في المنتخب[٦]. والطبراني في الدعاء[٧]، والبخاري في التاريخ الكبير[٨]، وابن عساكر في تاريخ دمشق[٩]، وابن أبي حاتم في العلل[١٠]، كلهم من طريق: عثمان بن عمر وأخرجه الإمام أحمد في المسند[١١]. ومن طريقه أبو نعيم في المعرفة[١٢] عن روح بن عبادة.

وأخرجه الحاكم في المستدرك، من طريق محمد بن جعفر[١٣].والنسائي

---

(1)انظر: سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر، بيروت، رقم (١٣٨٥)، (٤٤١/١).

(2)انظر: مسند الإمام أحمد مؤسسة قرطبة، مصر (١٣٨/٤).

(3)انظر: تهذيب الكمال، لأبي الحجاج المزي، تحقيق: د. بشار معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م (٣٥٩/١٩).

(4)انظر: صحيح ابن خزيمة، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

(5)انظر: المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، رقم (١١٨٠)، (٤٥٨/١).

(6)انظر: المنتخب من مسند عبد بن حميد، تحقيق: صبحي السامرائي، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٨م، رقم (٣٧٩)، (١٤٧/١).

(7)انظر: الدعاء، للطبراني، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣م، رقم (١٠٥١)، (٣٢١/١).

(8)انظر: التاريخ الكبير، للبخاري، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر رقم (٢١٩٢)، (٢٠٩/٦).

(9)انظر: تاريخ مدينة دمشق وفضائلها، لابن عساكر، تحقيق: ابي سعيد عمر العمري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م، (٢٤/٦).

(10)انظر: علل الحديث، لابن أبي حاتم، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٥هـ، (١٩٠/٢).

(11)انظر: مسند أحمد (١٣٨/٤).

(12)انظر: معرفة الأصحاب لأبي نعيم (١٩٥٩/٤).

(13)انظر: رقم (١٩٠٩)، (٧٠٠/١).

في الكبرى[١]، وكلهم: (عثمان بن عمر – وروح بن عبادة- ومحمد بن جعفر)، عن شعبة بن الحجاج عن أبي جعفر الخطمي عن عمارة بن خزيمة عن عثمان بن حنيف مرفوعاً. وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة[٢]، وأحمد في المسند[٣]، والبخاري في تاريخه[٤].وابن أبي خيثمة في تاريخه[٥]،من طريق: حماد بن سلمة عن أبي جعفر الخطمي به، وزاد ابن أبي خيثمة: "وإن كانت حاجة فافعل مثل ذلك".

الوجه الثاني:

أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة[٦]. والبخاري في تاريخه[٧]، من طريق: معاذ بن هشام الدستوائي عن أبيه عن أبي جعفر به. وأخرجه الطبراني في الكبير[٨]، وفي الصغير[٩]، وأيضاً في الدعاء[١٠]، وأبو نعيم في المعرفة[١١]،

---

(1)انظر: سنن النسائي الكبرى، تحقيق: د. عبدالغفار سليمان البنداري، سيد كسروي دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، رقم (١٠٤٩٥)، (٦/١٦٩).

(٢)انظر: (٦٥٨).

(٣)انظر: (٤/١٣٨).

(٤)انظر: (٦/٢٠٩).

(٥)انظر: التوسل، للألباني، ص٢١٣.

(٦)انظر: ص (٦٦٠).

(٧)انظر: (٦/٢١٠).

(٨)انظر: المعجم الكبير، للطبراني، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، مكتبة الزهراء، الموصل، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م، (٩/٣٠).

(٩)انظر: المعجم الصغير، للطبراني، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، (١/٣٠٦).

(١٠)انظر: (٢/١٢٨٧).

(١١)انظر: (٤/١٩٥٩).

والبخاري في تاريخه[١]، وابن أبي حاتم في العلل[٢]، من طريق: عبدالله بن وهب عن شبيب بن سعيد بن روح بن القاسم.

كلاهما: (هشام الدستوائي وروح ابن القاسم): عن أبي جعفر الخطمي عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن عثمان بن حنيف، وفي أوله: (أن رجلاً كان يأتي إلشد عثمان بن عفان يريد منه حاجة فلا يلتفت إليه ولا ينظر في حاجته، فلقي هذا الرجل عثمان بن حنيف رضي الله عنه فأرشده بما أرشد النبي صلشد الله عليه وسلم ذلك الرجل الضرير ففعل، ثم ذهب إلشد عثمان بن عفان فقضشد حاجته).

وأخرجه مختصراً دون ذكر القصة:

الحاكم في المستدرك[٣]، وابن السني في عمل اليوم والليلة[٤]، والبيهقي في دلائل النبوة[٥]، وعبدالغني المقدسي في الترغيب في الدعاء[٦].كلهم من طريق: أحمد بن شبيب بن سعيد عن أبيه عن روح بن القاسم به.

والحديث من كلا الوجهين إسناده صحيح، ورجاله ثقات.

وقد صحح الوجه الأول:

الترمذي، وابن خزيمة، ورجحه أبو زرعة الرازي كما في العلل لابن أبي

---

(١)انظر: (٦/٢١٠).

(2)انظر: (٢/١٩٠).

(3)انظر: (١/٧٠٧).

(4)انظر: عمل اليوم والليلة، أحمد بن محمد الدينوري الشافعي، تحقيق: كوثر البرني، دار القبلة، جدة، بيروت، رقم (٦٢٨)، ص(٥٨١).

(5)انظر: دلائل النبوة، لأبي بكر البيهقي، تحقيق: د. عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العلمية (٦/١٦٧).

(6)انظر: الترغيب في الدعاء، عبدالغني المقدسي، تحقيق: فواز أحمد، دار ابن حزم، بيروت ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م ص(١٠٨).

حاتم[١]، ونقل الطبراني في الدعاء أن هذا أيضاً هو اختيار علي بن المديني[٢].

وصححه من الوجه الثاني:

الطبراني في المعجم الصغير(٣)، والبيهقي في الدلائل(٤)، ورجحه ابن أبي حاتم كما مر سابقاً.

وصححه من كلا الوجهين الحاكم في مستدركه، ولكن؛ هناك من أعله بسبب الاختلاف في أبي جعفر هل هو الخطمي أم غيره، فالترمذي نفشد أن يكون الخطمي قال: "لا نعرفه من هذا الوجه من حديث أبي جعفر، وليس الخطمي"[٥].

وقد ظن الحافظ ابن حجر أن هذا هو الرازي[٦].

يقول المباركفوري[٧]: "أبو جعفر عن عمارة بن خزيمة بن ثابت رجلان: أحدهما: أبو جعفر الخطمي اسمه: عمير بن يزيد بن عمير بن حبيب الأنصاري، نزيل البصرة، صدوق من السادسة.والثاني: غير الخطمي، قال في التقريب: أبو جعفر عن عمارة ابن خزمة، قال الترمذي: ليس هو الخطمي فلعله الذي بعده.قلت: والذي بعده أبو جعفر الرازي التميمي مولاهم، واسمه هو: عيسشد بن أبي عيسشد

---

(1)انظر: (٤٩٥/٢).

(2)انظر: (١٢٩٠/٢).

(3)انظر: (٣٠٦/١).

(٤)انظر: (١٧٦/٦).

(٥) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، أبو العلا محمد المباركفوري، دار الكتب العلمية (٤٧٦/٨).

(٦)انظر: تقريب التهذيب، لابن حجر، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، الطبعة الأولشد ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص(٦٢٩).

(٧) محمد عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري، أبو العلا، ولد في بلدة مباركفور بالهند، من كبار العلماء صاحب كتاب تحفة الأحوذي في شرح سنن الترمذي، وله أيضاً: السنن في مجلدين توفي رحمه الله عام ١٣٥٣هـ[ينظر عنه كتاب: العلامة المحدث المباركفوري ومنهجه في كتابه: تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، لعبدالله رفدان الشهراني].

عبدالله بن ماهان، وأصله من مرو، وكان يتجر إلى الري، صدوق سيء الحفظ"[١].

وقد جزم شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – أنه الخطمي، يقول: "وسائر العلماء قالوا: أبو جعفر الخطمي، وهو الصواب"[٢].

ويقول الألباني رحمه الله[٣]، في حديثه عن إسناده: "وهكذا نسبة أحمد في رواية (١٣٨/٤)، وسماه في أخرى أبا جعفر المدني، وكذلك سماه الحاكم، والخطمي هذا لا الرازي هو المدني، وقد ورد هكذا في المعجم الصغير للطبراني. ويؤكد ذلك بشكل قاطع أن الخطمي هذا هو الذي يروي عن عمارة بن خزيمة، ويروي عن شعبة كما في إسناده هنا، وهو صدوق، وعلى هذا فالإسناد جيد لا شبهة فيه"[٤].

ثانياً: زيادات الحديث:

وفي الحديث زيادتان يجدر الإشارة إليهما وهما:

الزيادة الأولى:

قصة الرجل مع عثمان بن عفان، وتوسله بالنبي صلى الله عليه وسلم، حتى

---

(١) تحفة الأحوذي (٢٥/١٠).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٦٦/١).

(٣) محمد ناصر الدين بن الحاج نوح الأشقودي الألباني، أبو عبدالرحمن، من كبار علماء الحديث الشريف في عصرنا الحاضر ولده رحمه الله في ألبانيا عام ١٣٣٢هـ، وتلقى تعليمه في دمشق بسوريا على يد عدد من الشيوخ وكبار رجال العلم، له من المصنفات: سلسلة الأحاديث الصحيحة وسلسلة الأحاديث الضعيفة، وغيرها، توفي عام ١٤٢٠هـ [ينظر عنه: كتابة حياة الألباني وآثاره وثناء العلماء عليه، لمحمد إبراهيم الشيباني].

(٤) التوسل، للألباني، ص٦٩.

قضىٰ له حاجته، والتي ذكرها الطبراني في المعجم الكبير[١]، والبيهقي في دلائل النبوة[٢]: (أن رجلاً كان يختلف إلىٰ عثمان بن عفان في حاجة له، وكان عثمان لا يلتفت إليه، ولا ينظر في حاجته، فلقي الرجل عثمان بن حنيف، فشكا إليه ذلك، فقال له عثمان بن حنيف: أئت الميضأة، فتوضأ، ثم أئت المسجد فصل ركعتين، ثم قل: اللهم إني أسألك، وأتوجه إليك بنبينا محمد نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلىٰ ربي فيقضي لي حاجتي، ثم اذكر حاجتك، ثم رح حتىٰ أروح معك.

قال: فانطلق الرجل فصنع ذلك، ثم أتىٰ بَعْدُ عثمان بن عفان، فجاء البواب، فأخذ بيده، فأدخله علىٰ عثمان، فأجلسه معه علىٰ الطنفسة[٣]، وقال: انظر ما كانت لك من حاجة، فذكر حاجته فقضاها له، ثم إن الرجل خرج من عنده، فلقي عثمان بن حنيف فقال له: جزاك الله خيراً، ما كان ينظر في حاجتي ولا يلتفت إليّ حتىٰ كلمته في، فقال عثمان بن حنيف: ما كلمته، ولكن سمعت رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يقول: (... وجاءه ضرير... الحديث).

وهذه القصة مدارُها علىٰ شبيب بن سعيد عن روح بن القاسم عن أبي جعفر عن أبي أمامة عن عثمان بن حنيف.

وقد رواها عن شبيب: عبدالله بن وهب، كما رواها عنه ابنه أحمد بن شبيب، عند عبدالغني المقدسي في الترغيب في الدعاء دون بقية المصادر التي خرَّجت الحديث من طريقه.

وهذه القصة شاذة لا تصح للآتي:

---

(١)انظر: (١٨٠٩/١٧).

(2)انظر: (١٦٦/٦).

(3) الطنفسة: واحدة الطنافس، بكسر الطاء والفاء، وبضمها وبكسر الطاء وفتح الفاء وهي: البساط الذي له خمل رقيق. [ينظر: النهاية في غريب الأثر (١٤٠/٣). جامع الأصول (٢٣٠/٢)].

أولاً: أن مدارها علىٰ شبيب بن سعيد، ولأهل العلم كلام في روايته، إلا أن الأقرب صحة حديثه إذا حدَّث عنه ابنه أحمد وكان شيخه في الإسناد يونس بن يزيد.

نص علىٰ هذا ابن عدي في الكامل(١)، وهي طريقة إخراج البخاري له في الصحيح؛ كما ذكر ابن حجر(٢).

ثانياً: نص ابن عدي علىٰ أن عبدالله بن وهب قد حدَّث عن شبيب بمناكير، وهذه القصة من رواية عبدالله بن وهب عن شبيب وأما رواية أحمد بن شبيب لها عن أبيه فلم تذكر في عامة المصادر إلا عند عبدالغني المقدسي، ثم إن شيخ شبيب في هذا الإسناد ليس يونس بن يزيد.

ثالثاً: أن كل من روى الحديث عن أبي جعفر لم يذكر هذه القصة، ومنهم شعبة بن الحجاج وهشام الدستوائي.

يقول الألباني: "وخلاصة القول: إن هذه القصة ضعيفة منكرة، لأمور ثلاثة:

١. ضعف حفظ المتفرد بها، وهو شبيب بن سعيد.
٢. الاختلاف عليه فيها.
٣. مخالفته للثقات الذين لم يذكروها في الحديث كشعبة وغيره.

وأمرٌ واحد من الأمور كافٍ لإسقاط القصة، فكيف بها مجتمعة"(٣).

أما الزيادة الثانية:

---

(1)انظر: الكامل في ضعفاء الرجال، عبدالله بن عدي، تحقيق: يحيىٰ مختار غزاوي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، (٣١/٤).

(2)انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، تحقيق: محي الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، (٣٥/٥).

(3) التوسل أحكامه وأنواعه للألباني، ص٩٤-٩٥.

فقد رواها ابن أبي خيثمة في تاريخه من طريق حماد بن سلمة عن أبي جعفر الخطمي عن عمارة بن خزيمة عن عثمان بن حنيف: (وإن كانت حاجة؛ فافعل مثل ذلك).

يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله: "وقد روى أبو بكر بن أبي خيثمة في تاريخه، حديث حماد بن سلمة فقال: حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا أبو جعفر الخطمي، عن عمارة بن خزيمة، ثم ساق الحديث، إلىأن قال في آخره: (وشفع نبيي رد بصري، وإن كانت حاجة فافعل مثل ذلك" [(١)].

هذه الزيادة لم يروها أحد ممن خرَّج الحديث من طريق حماد سوى ابن أبي خيثمة، ثم إن الأثبات: شعبة بن الحجاج وهشاماً الدستوائي قد رويا هذا الحديث عن أبي جعفر الخطمي بدون هذه الزيادة، ولعل هذه الزيادة من أوهام حماد بن سلمة فحماد وإن كان ثقة في روايته، إلا أن الحفاظ ذكروا له أوهاماً في روايته وغرائب، يقول الإمام الذهبي: إمام ثقة، له أوهام[(٢)]، ويقول أيضاً: إمام صدوق له أوهام وغرائب، ويقول أيضاً: ثقة صدوق يغلط، وليس في قوة مالك"[(٣)].

ويقول ابن تيمية رحمه الله: "وقوله (وإن كانت حاجة فافعل مثل ذلك) قد يكون مدرجاً من كلام عثمان لا من كلام النبي صلى الله عليه وسلم فإنه لم يقل: (وإن كانت لك حاجة فعلت مثل ذلك)، بل قال: (وإن كانت حاجة فافعل مثل ذلك)، وبالجملة: فهذه الزيادة لو كانت ثابتة لم يكن فيها حجة، وإنما نهايتها أن يكون عثمان بن حنيف ظن أن الدعاء يدعى ببعضه دون بعض، فإنه لم يأمره بالدعاء

(1) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٧٧/١).
(2) انظر: المغني في الضعفاء، شمس الدين الذهبي، تحقيق: نور الدين عتر (١٨٩/١).
(3)انظر: الكاشف في معرفة لمن له رواية في الكتب الستة، شمس الدين الذهبي، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة للثقافة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، (٣٤٩/١).

المشروع بل بعضه، وظن أن هذا مشروع بعد موته صلى الله عليه وسلم، ولفظ الحديث يناقض ذلك"(١).

المطلب الثاني : دلالة حديث الضرير عند أهل السنة والجماعة

يرى المخالفون أن هذه القصة تدل على جواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بذاته أو بجاهه أو بعد موته(٢)، إذ فيها أن النبي صلى الله عليه وسلم علَّم الضرير أن يتوسل به في دعائه، وقد فعل ذلك فعاد بصيراً، وكذلك فعل الرجل في قصة عثمان بن حنيف، ولا حجة لهم فيه، بل إن توسل الضرير كان بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم، والأدلة على ذلك من الحديث نفسه كثيرة منها:

أولاً: أن الضرير إنما جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليدعو له، وذلك في قوله: "ادع الله أن يعافيني"؛ فهو توسل إلى الله تعالى بدعائه صلى الله عليه وسلم؛ لأنه يعلم أن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أرجى للقبول عند الله، بخلاف دعاء غيره، ولو كان قصد الضرير التوسل بذات النبي صلى الله عليه وسلم أو جاهه أو حقه، لما كان ثمة حاجة به إلى أن يأتي النبي صلى الله عليه وسلم، ويطلب منه الدعاء له، بل كان يقعد في بيته، ويدعو ربه بأن يقول مثلاً: اللهم إني أسألك بجاه نبيك ومنزلته عندك أن تشفيني وتجعلني بصيراً، ولكنه لم يفعل.

ثانياً: أن النبي صلى الله عليه وسلم وعده بالدعاء مع نصحه له ببيان ما هو الأفضل له، وهو قوله صلى الله عليه وسلم: (إن شئت دعوتُ، وإن شئت صبرتَ فهو خير لك).

---

(1) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٧٥/١).

(2) انظر على سبيل المثال: شفاء السقام، للسبكي، ص١٣٩، ١٤٠. والضياء الشارق للزهاوي، ص٥٣٧.

ثالثاً: إصرار الأعمش علش الدعاء، وهو قوله: "فادعه"، فهذا يقتضي أن الرسول صلش الله عليه وسلم دعا له، لأنه صلش الله عليه وسلم خير من وفش بما وعد، وقد وعده بالدعاء له إن شاء، كما سبق، فقد شاء الدعاء وأصر عليه، فإذن لابد أنه صلش الله عليه وسلم دعا له، فثبت المراد، وقد وجه النبي صلش الله عليه وسلم الأعمش بدافع من رحمته، وبحرص منه علش أن يستجيب الله دعاءه فيه، وجهه إلش نوع التوسل المشروع، وهو التوسل بالعمل الصالح، ليجمع له الخير من أطرافه، فأمره أن يتوضأ ويصلي ركعتين ثم يدعو لنفسه، وهذه الأعمال طاعة لله سبحانه وتعالش يقدمها بين يدي دعاء النبي صلش الله عليه وسلم.

وهكذا فلم يكتف الرسول صلش الله عليه وسلم بدعائه للضرير الذي وعده به، بل شغله بأعمال فيها طاعة لله سبحانه وتعالش، وقربةٌ إليه، ليكون مكتملاً من جميع نواحيه، وأقرب إلش القبول والرضا من الله سبحانه وتعالش، وعلش هذا فالحادثة كلها تدور حول الدعاء كما هو ظاهر.

رابعاً: إن في الدعاء الذي علمه رسول الله صلش الله عليه وسلم إياه أن يقول: (اللهم فشفعه فيّ) وهذا يستحيل حمله علش التوسل بذاته صلش الله عليه وسلم أو جاهه أو حقه، إذ المعنش: اللهم اقبل شفاعته صلش الله عليه وسلم فيّ، أي: أقبل دعاءه في أن ترد عليّ بصري.

والشفاعة لغة: الدعاء، وهو المراد بالشفاعة الثابتة له صلش الله عليه وسلم ولغيره من الأنبياء والصالحين يوم القيامة.

خامساً: إن مما علَّم النبي صلش الله عليه وسلم الضرير أن يقول: (وشفعني فيه)[1]، أي: اقبل شفاعتي، أي: دعائي في أن تقبل شفاعته صلش الله عليه وسلم،

---

(١) وهذه الجملة أوردها الإمام أحمد، وابن خزيمة، والحاكم، وعلق عليها الألباني في صحيح الجامع الصغير، الطبعة الأولش، ١٣٨٨هـ/ ١٦٩٦م بقوله في الهامش: (قلت: وزاد أحمد وابن خزيمة

أي: دعاءه في أن ترد عليّ بصري، هذا المعنشد لا يمكن أن يفهم من هذه الجملة سواه، ولهذا ترى المخالفين يتجاهلونها، ولا يتعرضون لها من قريب أو بعيد؛ لأنها تنسف بنيانهم من القواعد، وتجتثه من الجذور، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فهذا توسل بدعاء النبي صلشد الله عليه وسلم وشفاعته، ودعا له النبي صلشد الله عليه وسلم، ولهذا قال: (وشفعه) فسأل الله أن يقبل شفاعة رسوله فيه، وهو دعاؤه"(١).

سادساً: إن هذا الحديث ذكره العلماء في معجزات النبي صلشد الله عليه وسلم ودعائه المستجاب، وما أظهر الله ببركة دعائه من الخوارق؛ الإبراء من العاهات، فإنه بدعائه صلشد الله عليه وسلم لهذا الضرير أعاد الله عليه بصره، ولذلك رواه المصنفون في دلائل النبوة كالبيهقي(٢)، وغيره، فهذا يدل علشد أن السر في شفاء الضرير إنما هو دعاء النبي صلشد الله عليه وسلم، ويؤيده أنه لو كان السر في دعاء الضرير وحده دون دعائه صلشد الله عليه وسلم، لكان من دعا به من العميان مخلصاً إليه تعالشد، منيباً إليه، قد عُوفي، إذا تبين ما أوردناه من الوجوه الدالة علشد أن حديث الضرير إنما يدور حول التوسل بدعائه صلشد الله عليه وسلم، وأنه لا علاقة له بالتوسل بالذات، حينئذ يتبين أن قول الضرير في دعائه: "اللهم إني أسألك، وأتوسل إليك بنبيك محمد صلشد الله عليه وسلم"، إنما المراد به: أتوسل إليك بدعاء نبيك، أي علشد حذف المضاف، ونحن ومخالفونا

والحاكم، و"شفعني فيه" وهي من الأدلة الكثيرة علشد أن التوسل والتوجه المذكور في الحديث إنما هو بدعائه صلشد الله عليه وسلم؛ لأن معناها: اقبل شفاعتي، أي في دعائه، وكذلك قوله: (فشفعه فيّ) أي: اقبل شفاعته أي: دعاءه، وهذه الزيادة من الكنوز من عرفها استطاع أن يطيح بها شبهات المخالفين)، (٤٠٤/١).

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢٦٦/١).

(٢) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (١٦٦/٦).

متفقون علىٰ ذلك، أي علىٰ تقدير مضاف محذوف، فإما أن يكون التقدير: إني أتوجه إليك بـ (جاه) نبيك، ويا محمد إني توجهت بـ (ذات) ـك إلىٰ ربي، كما يزعمون.

وإما أن يكون التقدير: إني أتوجه إليك بـ (دعاء) نبيك، ويا محمد إني توجهت بـ (دعائـ)ك، إلىٰ ربي، كما هو قولنا، ولابد لترجيح أحد التقديرين من دليل يدل عليه فأما تقديرهم بـ (جاهه)، فليس لهم عليه دليل لا من هذا الحديث، ولا من غيره، إذ ليس في سياق الكلام تصريح أو إشارة لذكر الجاه، أو ما يدل عليه إطلاقاً[(١)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وكذلك التوسل بدعاء النبي صلىٰ الله عليه وسلم وشفاعته فإنه يكون علىٰ وجهين:

أحدهما: أن تطلب منه الدعاء والشفاعة فيدعو ويشفع، كما كان يطلب منه في حياته، وكما يطلب منه يوم القيامة، حين يأتون آدم ونوحاً ثم الخليل ثم موسىٰ الكليم، ثم عيسىٰ، ثم يأتون محمد صلوات الله وسلامه عليه، فيطلبون منه الشفاعة.

والوجه الثاني: أن يكون التوسل مع ذلك بأن يسأل الله بشفاعته ودعائه، كما في حديث الأعمىٰ المتقدم ذكره، فإنه طلب منه الدعاء والشفاعة فدعا له الرسول وشفع فيه، وَأَمَرَهُ أن يدعو الله فيقول: "اللهم إني أسألك وأتوجه إليك به، اللهم فشفعه فيّ"، فأمره أن يسأل الله تعالىٰ قبول شفاعته، بخلاف من يتوسل بدعاء الرسول... والرسول لم يدع له ولم يشفع فيه، فهنا توسل بما لم يوجد، وإنما

---

(١) انظر: التوسل، للألباني، ص٥٩، وما بعدها. و انظر: جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، للألوسي، دار المدني، جدة، ص٥١٧، وما بعدها. فيض القدير للمناوي، دار الفكر (١٣٤/٢). و انظر:تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق لله علىٰ العبيد، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولىٰ، ١٤٢٣هـ، ص٢٠١.

يتوسل بدعائه وشفاعته من دعا له وشفع فيه"[١].

وهذا ما فهمه الصحابة رضوان الله عليهم في عدم جواز التوسل بجاه النبي صلى الله عليه وسلم أو بذاته ﷺ، وقد ورد عنهم ما يفيد بذلك، ففي قصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه: "أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبدالمطلب فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا، فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون"[٢].

وكذلك ما فعله معاوية رضي الله عنه بيزيد بن الأسود حين توسلوا بدعائه[٣]، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فأما التوسل بذاته في حضوره أو مغيبه أو بعد موته مثل الإقسام بذاته أو بغيره من الأنبياء، أو السؤال بنفس ذواتهم لا بدعائهم – فليس هذا مشهور عند الصحابة أو التابعين، بل عمر بن الخطاب ومعاوية ابن أبي سفيان، ومن بحضرتهما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم بإحسان لما أجدبوا استسقوا وتوسلوا واستشفعوا بمن كان حياً، كالعباس وكيزيد بن الأسود، ولم يتوسلوا ولم يستشفعوا في هذه الحال بالنبي لا عند قبره، ولا غير قبره، بل عدلوا إلى البدل كالعباس وكيزيد، بل كانوا يصلون عليه في دعائهم، وقد قال عمر: "اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، فجعلوا هذا بدلاً عن ذلك لما تعذر أن يتوسلوا

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣١٠/١).

(٢) صحيح البخاري (٩٦٤)، (٣٤٢/١).

(٣)انظر: كرامات الأولياء للالكائي، من كتاب أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق: د/ أحمد سعد حمدان الغامدي، دار طيبة، الطبعة الثامنة ١٤٢٣هـ (٢١٤/٩)، (١٥٠). و انظر: قاعدة: جليلة في التوسل والوسيلة، لابن تيمية، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي ١٣٩٠هـ (١٢٩/١). ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٣١٨/١).

به علىٰ الوجه المشروع الذي كانوا يفعلونه، وقد كان من الممكن أن يأتوا إلىٰ قبره، فيتوسلوا به، ويقولوا في دعائهم في الصحراء بالجاه ونحو ذلك من الألفاظ التي تتضمن القسم بمخلوق علىٰ الله عز وجل أو السؤال به فيقولون: نسألك أو نقسم عليك بنبينا أو بجاه نبيك، ونحو ذك مما يفعله بعض الناس"[1].

يقول القاسمي[2] رحمه الله: "يكفي في لزوم التحرز عن الأخذ به، أن أهل القرون الثلاثة لم يقع منهم مثله، وهم أعلم بما يجب الأخذ به من ذلك، ولا وجه لابتعادهم عن العمل به، إلا علمهم بأن ذلك من باب طلب الاشتراك في الدعاء من الحي، كما قال عمر رضي الله عنه في حديث الاستسقاء: إنا كنا نتوسل إليك بنبينا صلىٰ الله عليه وسلم فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبيك العباس فاسقنا، قال ذلك رضي الله عنه، والعباس بجانبه يدعو الله تعالىٰ، ولو كان التوسل ما يزعم هؤلاء الزاعمون لكان عمر يستسقي ويتوسل بالنبي صلىٰ الله عليه وسلم، ولا يقول: (كنا نستسقي بنبيك)"[3].

وهذا دعاء أقره عليه جمع الصحابة، لم ينكره أحد مع شهرته، وهو من أظهر الإجماعات الإقرارية... ولو كان توسلهم بالنبي صلىٰ الله عليه وسلم بعد مماته كتوسلهم في حياته لقالوا: كيف نتوسل بمثل العباس ويزيد بن الأسود

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١/٣١٨-٣١٩).

(٢) محمد بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، جمال الدين الفقيه المعروف، ولد عام ١٢٨٣، بدمشق، له من المؤلفات: دلائل التوحيد، ومحاسن التأويل في التفسير، تاريخ الجهمية والمعتزلة، وغيرها الكثير، توفي رحمه الله عام ١٣٣٢هـ. ينظر عنه: كتاب جمال الدين القاسمي وعصره، لظافر القاسمي، وكتاب: وليد القرون المشرقة، وإمام الشام في عصره، جمال الدين القاسمي، لمحمد بن ناصر العجمي.

(٣) تفسير القاسمي، محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولىٰ ١٤١٨هـ (٨/١٢١).

ونحوهما؟ ونعدل عن النبي صلىَّ الله عليه وسلم الذي هو أفضل الخلائق، وهو أفضل الوسائل وأعظمها عند الله، فلما لم يقل ذلك أحد منهم، وقد علم أنهم في حياته إنما توسلوا بدعائه وشفاعته، وبعد مماته توسلوا بدعاء غيره، وشفاعة غيره، عُلم أن المشروع عندهم التوسل بدعاء المتوسل به لا بذاته، وحديث الأعمىَّ حجة لعمر وعامة الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، فإنه إنما أمر الأعمىَّ أن يتوسل إلىَّ الله بشفاعة النبي صلىَّ الله عليه وسلم ودعائه لا بذاته، وقال له في الدعاء قل: اللهم فشفعه فيَّ[1].

وأما زيادة عثمان بن حنيف في الرجل الذي أتىَّ لعثمان بن عفان فعلىَّ فرض صحة هذه القصة، فلا حجة فيها أيضاً، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومن قال من العلماء إن قول الصحابي حجة فإنما قاله إذا لم يخالفه غيره من الصحابة، ولا عُرف نص يخالفه، ثم إذا اشتهر ولم ينكروه كان إقراراً علىَّ القول، فقد يقال: هذا إجماع إقراري إذا عُرف أنهم أقروه، ولم ينكره أحد منهم، وهم لا يقرون علىَّ باطل، وأما إذا لم يشتهر فهذا إن عُرف أن غيره لم يخالفه فقد يقال: حجة، وأما إذا عُرف أنه خالفه فليس بحجة بالاتفاق، وأما إذا لم يُعرف هل وافقه غيره أو خالفه لم يجزم بأحدهما، ومتىَّ كانت السنة تدل علىَّ خلافه كانت الحجة في سنة رسول الله صلىَّ الله عليه وسلم لا فيما يخالفهما بلا ريب عند أهل العلم، وإذا كان كذلك فمعلوم أنه إذا ثبت عن عثمان بن حنيف أو غيره أن يكون النبي صلىَّ الله عليه وسلم داعياً له، ولا شافعاً فيه، فقد علمنا أن عمر وأكابر الصحابة لم يروا هذا مشروعاً بعد مماته كما كان يشرع في حياته، بل كانوا في الاستسقاء في حياته يتوسلون به، فلما مات لم يتوسلوا به"[2].

---

(١)انظر: مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لأبي الحسن عبيد الله المباركفوري، إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الجامعة السلفية، الهند، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م (٢٧٣/٨).

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢٨٤/١).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علش سيدنا محمد وعلش آله وصحبه، ومن تبعه واقتفش طريقه واهتدى بهديه إلش يوم الدين، وبعد:

كان هذا البحث بعنوان: (حديث الضرير في التوسل عند أهل السنة والجماعة – دراسة عقدية).

وقد تناول دراسة أسانيد حديث الضرير، وتخريج طرقه من مظانها، وكذلك زيادات الحديث، وحكم العلماء عليها.

وحيث إن الحديث يُعدُّ حجة عند القائلين بجواز التوسل بالنبي صلش الله عليه وسلم بعد موته، أو بجاهه عليه الصلاة والسلام؛ فقد بيَّن البحث أقوال العلماء في المراد من دعاء الضرير علش أنه توسل بدعائه عليه الصلاة والسلام، ولم يكن المقصود منه التوسل بذاته، وأن هذا الأمر كان واضحاً ومفهوماً من فعل الصحابة رضوان الله عليهم، حيث عدلوا عن ذلك إلش التوجه بدعاء الصالحين كما فعل عمر بن الخطاب بالعباس بن عبدالمطلب، ومعاوية مع يزيد بن الأسود، رضي الله عنهم جميعاً.

وبهذا البيان يسقط احتجاج من توهم أن الحديث فيه جواز التوسل بذات النبي ﷺ بعد موته، أو بجاهه عليه السلام، والله أعلم.

وبعد فقد اجتهدت الباحثة في أن يكون هذا البحث مفتاحاً لكل مستزيد أو راغب في نقض حجج المخالفين في مسألة التوسل، وذلك قدر الاستطاعة، والله تعالش تسأله أن يكون خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعها ومن يقرأ به.

والحمد لله رب العالمين، وصلش الله علش سيدنا ونبينا محمد وعلش آله وصحبه وسلم.

المـراجـع

١. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م.
٢. التاريخ الكبير، للبخاري، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر.
٣. تاريخ مدينة دمشق، لابن عساكر، تحقيق: أبي سعيد عمر العمري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.
٤. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، لأبي العلا محمد المباركفوري، دار الكتب العلمية.
٥. الترغيب في الدعاء، عبدالغني المقدسي، تحقيق: فواز أحمد، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م.
٦. تقريب التهذيب، لابن حجر، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
٧. تهذيب الكمال، لأبي الحجاج المزي، تحقيق: د. بشار معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
٨. التوسل حكمه وأقسامه، محمد ناصر الدين الألباني، دار خزيمة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
٩. التوصل إلى حقيقة التوسل، أبو غزوان محمد نسيب الرفاعي، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
١٠. التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب بطريقة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، محمد علي بن غريب وآخرون، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.
١١. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد،

تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.
١٢. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لابن سعدي، تحقيق: محمد بن صالح بن عثيمين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢١هـ.
١٣. جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري، تحقيق: محمد أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.
١٤. جامع الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي.
١٥. جلاء العينين في محاكمة الأحمدين للألوسي، دار المدني، جدة.
١٦. الدعاء، للطبراني، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
١٧. دلائل النبوة، لأبي بكر البيهقي، تحقيق: د. عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العلمية.
١٨. زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ.
١٩. سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر، بيروت.
٢٠. سنن النسائي الكبرى، تحقيق: د. عبدالغفار سليمان البنداري، سيد كسروي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
٢١. صحيح البخاري، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
٢٢. صحيح ابن خزيمة، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.
٢٣. صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي.
٢٤. صحيح الجامع الصغير، لناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٩م.

٢٥. عمل اليوم والليلة، للدينوري الشافعي، تحقيق: كوثر البرني، دار القبلة، جدة، بيروت.

٢٦. عمل اليوم والليلة، للنسائي، تحقيق، فاروق حمادة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

٢٧. علل الحديث، لابن أبي حاتم، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٢٨. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت.

٢٩. فتح المنان تتمة منهاج التأسيس، محمود شكري الألوسي، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٦٦هـ.

٣٠. فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، الطبعة الأولى ١٣٥٦هـ.

٣١. قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، لابن تيمية، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ١٣٩٠هـ.

٣٢. القاموس المحيط، للفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة.

٣٣. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، للذهبي، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة للثقافة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

٣٤. الكامل في ضعفاء الرجال، عبدالله بن عدي، تحقيق: يحيشد مختار غزاوي، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٣٥. كرامات الأولياء، كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الطبعة الثامنة ١٤٢٣هـ.

٣٦. مجموع فتاوى ابن تيمية، تحقيق: ابن قاسم العاصمي، دار مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية.
٣٧. مجموع فتاوى ابن عثيمين، جمع: فهد السلمان، دار الثريا، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ.
٣٨. محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
٣٩. مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لأبي الحسن عبيد الله المباركفوري، إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الجامعة السلفية، الهند، الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
٤٠. المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ.
٤١. مسند الإمام أحمد، مؤسسة قرطبة، مصر.
٤٢. مسند الإمام أحمد، مؤسسة الرسالة.
٤٣. المعجم الصغير، للطبراني، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
٤٤. المعجم الكبير، للطبراني، تحقيق: حمدي عبدالمجيد السلفي، مكتبة الزهراء، الموصل، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ.
٤٥. معرفة الأصحاب، لأبي نعيم (د.ت).
٤٦. المغني في الضعفاء، للذهبي، تحقيق: نور الدين عتر.
٤٧. المنتخب من مسند عبد بن حميد، تحقيق: صبيح السامرائي، مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٨م.

Abstract

The title of the study is "Hadith of the Blind Man and his Invocation with the Prophet (Tawassul) in the Light of the Sunni perspective of Islam"

The study investigates the doubtful evidence provided by those who claim that it is permissible in Islam to invocate Allah by his prophet after his death. Their argument is based upon the *Prophetic Hadith* in which a blind man invocated Allah with his prophet (in the presence of the prophet) after that he regained his eyesight.

The study refers to the view of the followers of The *Sunni perspective* in this *Hadith.* It clarifies that what was meant by this *Hadith* is the invocation of the prophet himself for the blind but not the invocation of the blind with the prophet. That what the companions of the prophet understood from the *Hadith.*

The study refers also to the authenticity, the chain of transmission of this *Hadith,* the rulings upon it, and all the explanations and discussions related to it.